

الفضائل العلوية في المعراج النبوى

علي أصغر حداديان^١ / الدكتور أمير توحيد^٢ / الدكتور السيد محمد رضوي^٣

الملخص: معراج النبي الأعظم عليه السلام سفرة مادية ومعنوية من الأرض إلى ما فوق السماوات السبع، أي: إلى مقام القرب «أو أدنى».. وكانت الغاية والهدف الأساس منه، وبالاستناد إلى الآية الأولى من سورة الإسراء والآية الثامنة عشرة من سورة النجم رؤية جملة من الآيات الإلهية الكبرى، وقد تضمن هذا السفر الجليل مشاهدات عدّة، منها: لقاء الأنبياء والملائكة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والجنة والنار.. ويحيط كل ذلك استعراض وبيان لجملة من الفضائل العلوية.. والتحقيق الذي بين يديك استنباط وعرض لهذه الفضائل التي لا تضاهى من الروايات ذات العلاقة بالمعراج بأسلوب تحقيقي كيفي وملاحظة المعلومات المتوفرة وبطريقة الوصف التحليلي من حيث كيفية البيان وعلى ثلاثة أقسام؛ البيانات والمكتوبات والتجليات.. ويداعي أولوية طبيعة علاقتها من حيث الارتباط بالله تعالى، والارتباط بالنبي الأكرم عليه السلام، والارتباط بالخلق.

ومن هنا؛ وبملحوظة الأهمية القصوى؛ مضافاً إلى الكمية والكيفية الاستثنائية لهذه الفضائل والمقامات، فإن الحقيقة المستنيرة تشير إلى أن من أهم أهداف وغايات المعراج تبيين وتبليل هذه الفضائل والمقامات، حتى أضحى هذا الإبلاغ من الأركان الأصلية للمعراج. وهذا التحقيق في نهاية المطاف يعني شرح إحد تلکم الفضائل، أي: لقب (أمير المؤمنين عليه السلام) الخاص بالإمام علي عليه السلام، إذ أنه لقب مقدس منحصر به وهو الأكثر جاماً من بين ألقابه عليه السلام، كما أنه دال على الولاية العلوية والخلافة الشرعية والعقائدية الخاصة بالإمام وغير المنفصلة عن النبوة المحمدية.

رموز المصطلحات: المعراج، النبي الأكرم عليه السلام، الفضائل العلوية، أمير المؤمنين عليه السلام، جبرئيل.

١. طالب مرحلة الدكتوراه، مجموعة علوم القرآن والحديث، طهران، جامعة آزاد.
٢. أستاذ مساعد، علوم القرآن والحديث، قسم طهران، جامعة آزاد) الإسلامية.
٣. أستاذ مساعد، مجموعة علوم القرآن والحديث، قسم طهران، جامعة آزاد) الإسلامية.

مقدمة وبيان مسألةٍ

أُحد المواضيع المهمة التي طالما حظيت باهتمام علماء الإسلام ومفسري القرآن الكريم؛ موضوع المراجـع، وإنـ القرآن وفي الآية الأولى من سورة (الإسراء) والآيات الثمانية عشرة في مطلع سورة (النجم) ذكرت موضوع المراجـع بشكل مباشر.. ولا ريب أنـ آيات قرآنـية أخرى لها علاقة وثيقة - من حيث التفسير والتـأوـيل - بـمسألة المراجـع العظيم.. رغمـ أنـ علماء المسلمين، وفيما يتعلق بـزمان المراجـع ومـكان انتـلاقـه وعدد مرـاته وكيفـيته (الرؤيا، الروحـانية، الجسمـانية والروحـانية) كانت لهم آراء مـختلفـة وتصورـات عـديدة، ولكنـهم قد حصلـ منهم الـاتفاق على أصل وقـوع المراجـع وهـدفـه الأصـلي، مضـافـاً إلى قولـهم الواحـد في أنـ ثمـ مـشاهدـات نـبوـية لـبعض الآيات الإلهـية الكـبـرى ومواردـ أخرى، مثل الاستـماع واكتـساب الوـحي المـباـشر ورجـوع النـبـي المصـطـطفـى ﷺ إـلى مـوضـعـه فـي الأرض، وكلـ ذلك في لـيلة واحـدة (الخـوارـزمـي ١٧٦ / ١) إذـ حـظـي النـبـي الأـكـرم ﷺ خـلال مـسـيرـته فـي السـماـوات السـبـع إـلى سـدـرة المـنـتهـى بـمشاهـدة الأنـبـيـاء والمـلـائـكة والـجـنـة والنـار وغـيرـذلك مـما لا يـعـلمـه مـخلـوق.. ثـم عـبورـه سـدـرة المـنـتهـى إـلى حـجبـ النـور وـمقـامـ القـربـ الإـلهـي (أـو أـدنـى) وكلـ ذلك مـحـاطـ بـقولـه تعـالـى: (وـأـنـفـسـنا) فـي آـيـةـ المـبـاهـلة (آلـ عمرـانـ / ٦١) لـدىـ بـيـانـ العلاقةـ الوـطـيـدةـ وـغـيرـ القـابـلـةـ لـلـإـنـكـارـ بـيـنـ النـبـيـ الـأـكـرمـ وـأـمـيرـ المـؤـمـنـينـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـمـاـ وـأـلـهـمـاـ السـلـامـ.

والـسـؤـالـ الـذـيـ يـفـرـضـ نـفـسـهـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ هوـ: هلـ جـرـتـ الإـشـارـةـ إـلـىـ الفـضـائلـ الـعـلـوـيةـ فـيـ خـضـمـ المـراجـعـ النـبـويـ؟ وـأـيـ فـضـائلـ هـيـ؟ وـكـيـفـ؟

ونـقولـ: إنـ المـراجـعـ بـمـثـابةـ فـرـصـةـ مـنـاسـبةـ لـلـتـعـرـفـ عـلـىـ الفـضـائلـ الـعـلـوـيةـ.. وـخلـالـ المـراجـعـ الـعـظـيمـ لمـ يـكـنـ ذـكـرـ الفـضـائلـ الـعـلـوـيةـ مـنـ جـهـةـ اللهـ تـعـالـىـ فـحـسبـ (الـحرـ العـامـلـيـ)، (الـجوـاـهـرـ السـنـيـةـ / ٢٤٠) وجـبـرـئـيلـ (الـقـمـيـ)، عـلـيـ بنـ إـبرـاهـيمـ / ٣٣٦ـ) وـالـمـلـائـكةـ (ابـنـ طـاوـوسـ، التـحـصـينـ / ٢٩٥ـ) وـالـأـنـبـيـاءـ ﷺـ (الـحرـ العـامـلـيـ، إـثـبـاتـ الـهـدـاـةـ / ٢٠٤ـ) وـالـحـورـ العـيـنـ (الـنـبـاطـيـ الـبـيـاضـيـ / ٢٣٨ـ) قدـ جـرـىـ الـحـدـيـثـ عـنـهاـ وـذـكـرـهاـ، بلـ إـنـ كـتـابـةـ اـسـمـ عـلـيـ ﷺـ مـعـ مـالـهـ مـنـ القـابـ، مـثـلـ لـقـبـ (ـأـمـيرـ المـؤـمـنـينـ) وـ(ـوـلـيـ اللهـ) وـغـيرـهـماـ عـلـىـ أـبـوابـ الـجـنـةـ (الـمـجـلـسـيـ / ٤٥٩ـ) وـ(ـالـحـلـيـ / ١١ـ) وـ(ـكـشـفـ الـيـقـينـ / ٣٣٩ـ) وـ(ـوـسـتـائـرـ قـصـورـ الـجـنـةـ / ٣٧ـ)



الجنة (المجلسي ٤٥/١٣٦) وكذا تعدّ من الفضائل العلوية.. وقد شوهدت ملائكة كثر في مختلف السماوات ومقابل عرش الله عزوجلّ بهيئة وصورة على أمير المؤمنين عليه السلام وهي تتعبد وتطمئن نفوسها إلى رؤية أشباء الإمام علي عليه السلام (النباطي البياضي ١/٢٤٤؛ المجلسي ١٨/٣٠٠، ٣٩/٩٧) من جملة الفضائل العلوية..

وأعلى وأقدس من ذلك كلمه؛ تكلم الله سبحانه وتعالى بصوت علىّ أمير المؤمنين عليه السلام في مقام القرب (أو أدنى) (البحرياني، مدينة المعاجز ٢/٤٠)

وعلى هذا؛ فإن شطراً عظيماً من المراج المعرج اختص ببيان الفضائل العلوية وعرض تجليات ومقامات أمير المؤمنين عليه السلام.

إن الكمم الكبير من الفضائل العلوية التي عرفت لدى المراج.. من شأن كممها وكيفها الاستثنائيين أن تثير في أذهان المخاطبين سؤالاً عن السبب في تحول المراج إلى ما يمكن تسميته بالحاضنة والوعاء لهذه الفضائل العلوية؟ ولماذا صار قسم كبير من هذا المراج العجيب وسيلة لبيانها؟

إن المؤكّد في الأمر برمته هو أن التحقيق وسبل أغوار الفضائل العلوية الخاصة بواقعة المراج الجليل يتطلّب تحليلًا وتحقيقاً ودراسة علمية وعقائدية فذّة.^١

وإنّ نوع أسلوب التحقيق في هذه الدراسة قد اختص بطبيعة (الكيف) وما يرتبط بالمراج من معلومات قد تشكّل بصورة مكتبة وبأسلوب الوصف التحليلي.. ولا ريب أن النواقص المشهودة فيما سبق من عمل تحقّقي بهذا الصدد بحاجة إلى إعادة نظر

١. مما حصل من تحقيق بخصوص موضوع المراج النبوي ييدو: (مولوي نيا في كتاب مراج النبي عليه السلام، زكي زاده في كتاب مراج النبي عليه السلام، السندي في كتاب الإسراء والمراج والمسجد الأقصى وبيت المقدس، ودستغيب في كتاب مراج: شرح وتفسير سورة النجم وبالاستناد إلى الآيات والأحاديث والروايات وضمن بيان بحوث حول مراج رسول الله عليه السلام.. إشارة إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام تحت إطار هذه الواقعية. وفي هذا الصدد كان زكي زاده في كتاب (پژوهشی قرآنی وروایی درباره مراج النبي- فارسی- .وفي القسم الثالث تحت عنوان «ولاية در آینه مراج» (فارسی) الوحید الذي أورد حكايات فذّة عن أهل البيت عليه السلام في المراج، وذلك طي (٥٤ صفحة) وإيراد (٥٤ عنواناً) مع ذكر روایات شاملة لفضائل العلوية في المراج...)

في أحاديث المعراج النبوى.. وإن بداعة هذا التحقيق - في إطاره - بمثابة أهم دلائل ضرورة الاهتمام بهذا الموضوع.

وهذا التحقيق وعبر استخراج الفضائل العلوية من نصوص الروايات المتعلقة بالمعراج ودراستها وبلحاظ كيفية طرحها وبيانها إلى ثلاثة أقسام؛ البيان والمكتوب والتجلي، وبداعي أولوية نوع ارتباطها بالأقسام الثلاثة، حيث الارتباط بالله وبالرسول وبالخلق..

٢- عالم الملائكة والفضائل العلوية

المعراج سير في عالم الملائكة وباطن الوجود وحقيقة الصدوق، الأمالي/١٥٠) وهو غاية السعة في الإمكانيات ووفرة الجدارة والفضاء اللامتناهي؛ ومفعم بالعجبات والجاذبية الفذّة التي لا نظير لها.. وحيث أن الولاية هي الركن الركين وأُسس الإسلام (المجلسي ٦٥ /٣٢٩) وأنّ الولاية العلوية مكمل واستمرار للولاية النبوية.. فكان تنظيم وتكرير المقامات العلوية - في هذا الإطار - ليست ذات قيمة جليلة فحسب، وإنما هي الجابر لعجز عالم الملك عن تبيين هذه الفضائل والمقامات. وبديهي أن ترتيب وتبويب هذه الفضائل من أهم مقدمات وأركان عملية التحقيق.

٣- أشكال ومراتب تبيين الفضائل العلوية في المعراج

١- البيانات

ضمن معراج النبي الأكرم ﷺ، عمد الكثير من الأعلام إلى (الكلام) في مدح الإمام علي عليه السلام والثناء عليه.. وذلك ما ينقسم عموماً إلى أقسام ستة. وإن عديد المتكلمين بهذه المناقب وعلو شأنهم ذو أهمية بالغة وبحاجة إلى مزيد الالتفات:

١- البيان الإلهي: أهم متكلم في الفضائل العلوية الخاصة بالمعراج هو الله تبارك وتعالى، حيث وصف أحد المقامات العلوية بالقول الشريف (أو أدنى) وذلك وصف للمقصد الغائي من المعراج لدى الإشارة إلى علي عليه السلام.. ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى هذا النموذج والمصدق: «قال العزيز عزوجل: فاخترْتُ منها علياً عليه السلام فجعلته وصيئك، فأنت سيد الأنبياء وعلى عليه سيد الأوصياء» (المجلسي ٢٦ /٣٠٧).



٢- البيان النبوى: شخص الرسول الأعظم ﷺ كذلك في مواقفٍ من المراجـع عمد إلى التصريح بمدح علي عليه السلام، وكمودج؛ يمكن الاستناد إلى هذه الرواية: «ما خلق الله نبياً أكرم على الله مني؛ ولا وصيأً أكرم على الله من علي» (الحر العاملى، الجوهر السنـية ٥١/٣)

٣- بيان الأنبياء عليه السلام: وكذلك الأنبياء والمرسلون لدى اجتماعهم الأعظم البهيج في المراجـع شهدوا بمنزلة الإمام علي عليه السلام؛ كما ورد في الرواية القائلة: «قل له بم يشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين» (المجلسى ٣٣٧ / ٣٧). وإن في بعض الموارد تكلـم جملة من الأنبياء - على حدـه - بفضائل سيد الأوصياء عليه السلام. وفي هذا الإطار ذكرت الرواية الكريمة: «فلما صعد به إلى السماء السابعة لقيه عيسى عليه السلام... سأله عن علي، فقال له: خلفته في أمتي. قال: نعم الخليفة خلـفت...» (نفسه ١٨ / ٣٠٣)

٤- بيان جبرئيل: جبرئيل عليه السلام الذي هو في زمرة أعاظم الملائكة، والموصوف في الدعاء الثالث من (الصحيفة السجادية) الشريفة بعنوانه أمين الوحي الإلهي، والمطاع في أهل السماوات، وكذا حظوته بالمقام والمنزلة الخاصة، والمصرح بعظيم قربه من الله عزوجلـ.. ورد ذكره في إحدى روايات المراجـع: «فقال جبرئيل: اشتاق العرش إلى علي؛ لإكشـار الله تعالى الثناء والصلـاة عليه، فخلقـ هذا - الملك العظيم - على صورـته؛ يسبـح وثوابـه لأهل بيتك» (النباطي البياضـي ١ / ٢٤٤)

٥- بيان الملائكة: كنـمودج يمكن القول إنـ الملائكة الإلهـيين في اجتماعـهم الجليل في محضر رسول الله عليه السلام في المراجـع تحدـثـوا عن معرفـتهم بعلي عليه السلام وأشارـوا إلى حـجـه في كلـ عام في البيت المعمـور (الحر العـامـلى، الجوهر السنـية ٣ / ٢٠٤) وكذا شهـادـتهم بأنه خـيرـ الوصـيـين (نفسـه ٣ / ١٧).

٦- بيان حـوريـة علي عليه السلام: لدى دخـولـه الجـنة، التقـى النبي الأـكرم ﷺ حـوريـة وصفـت نفسها بأنـها قد خـلـقت لأـجلـ وصـيـ خـاتـمـ المرـسـلـينـ وزـيـرـهـ عليـ بنـ أبيـ طـالـبـ عليهـ السلامـ (نفسـه ٣ / ٥٩) وـعلـىـ هـذـاـ؛ فإنـ حـوريـةـ عليـ عليهـ السلامـ قدـ صـرـحتـ فيـ المـراجـعـ بـفضـيـلـةـ منـ فـضـائـلـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عليـ عليهـ السلامـ.

٣-٢: المكتوبات:

مفردة «الكتب» في الأصل بمعنى الضم (الراغب ٢٩٩ / ٣) وواضح أن «كتب» و«كتاب» في الحديث العام يعني وصل بعض الحروف ببعضها مع الخط والكتابة (نفسه ٣٠٠ / ٣) وكذلك ترد مفردة «الكتابة» بمعنى القضاء وصدور الحكم الحتمي والماضي.. كما تطلق على حكم الله القطعي والماضي، أو الحكمة التي قدرها الله تعالى (نفسه ٣٠١ / ٣) ومن مجموع هذه التعبير يستفاد بأن المراد من «كتب» في أركان الوجود وعلى أجنحة الملائكة والعرش وملزومات ذلك ليس مجرد الكتابة، وإنما يدل هذا الأمر على امتناع خلقة هذه المخلوقات بباطن هذه الأسماء وما تعلق بها من حكمة البهية، وبما يعني أنَّ نظام الله الأحسن في الخلقة والهدایة وإدارة الوجود قد شيد على أساس الولاية العلوية؛ هذه الولاية المكملة للولاية النبوية التي هي انعكاس، عن ولاية الإلهية الحقة.

١- مكتوب على ساق العرش: «كتب على قوائمه: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، محمد رسول الله، عَلَيْهِ الْأَمْرُ الْمُؤْمِنُونَ...» (المجلسي ١/٢٧ و ٤٦/٧٤)

٢- مكتوب على ساق العرش الأيمن: «فوجدتُ على ساق العرش الأيمن مكتوباً لا إِلَهَ إِلَّا أنا؛ وحدي لا شريك لي، محمد رسولي؛ أَيَّدْتُه بعليٍّ» (نفسه ٣١٢/١٨)

٣- مكتوب على ساق العرش: «... يا محمد! أوصياؤك المكتوبون إلى ساق عرشي.. أَوْلَاهُمْ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ...» (نفسه ٣١٢/٥٢).

٤- مكتوب في قلب العرش (بطنانه) (نفسه ٤٦/٧٤).

٥- مكتوب على ساق الكرسي (نفسه ١/٢٧ و ٤٦/٧٤)

٦- مكتوب في اللوح (نفسه).

٧- مكتوب على سدرة المنتهي (نفسه ٤٦/٧٤)

٨- مكتوب على جبهة إسراfil (نفسه ١/٢٧ و ٧٦/٧٤).

٩- مكتوب على جناح جبريل (نفسه).

١٠- مكتوب على نواحي السماوات (نفسه)

١١- مكتوب على باب الجنة: «رأيت مكتوباً عليه: عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»



(نفسه ٣٣٩ / ٣٧) و: «... على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولی الله...» (الحلی، کشف الیقین ١ / ٤٥٩).

١٢- مكتوب في البيت المعمور: «إِنَّ فِي الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ لِرَقَّاً مِّنْ نُورٍ، فِيهِ اسْمُ مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ وَوَاللَّهِ...» (الحر العاملي، الجوادر السنیة ٣ / ٢٠٤).

١٣- مكتوب على الشمس: (المجلسي ١ / ٢٧ و ٤٦ / ٧٤).

١٤- مكتوب على القمر: (نفسه).

١٥- مكتوب في كتب الأنبياء: «فَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ مِّنْ فَضْلِهِ مَا أَنْزَلْنَا فِي كِتَابِكَ...» (برازش ٨ / ٢٨); «فَلَمَّا عُرِجَ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَلَّا وَأَبْلَغَ اللَّهَ رَسُولَهُ مِنْزَلَةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَظِيمَةِ لِدِيهِ، ثُمَّ أَرْجَعَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ وَجَمَعَ إِلَيْهِ النَّبِيِّنَ وَصَلَّى بِهِمْ جَمَاعَةً، أَبْلَغَ النَّبِيَّ بِمَقَامِهِ لِدِيهِ، وَخَطَرَ ذَلِكَ فِي ذَهَنِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ... وَإِذْ ذَاكَ أَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: (إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (سورة يومن ٩٤) أي: سلِّ النَّبِيِّنَ الْمَاضِينَ عَمَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي فَضَائِلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَذَا مَا أَنْزَلْنَا فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَا رِيبَ فِي أَنَّ الْحَقَّ قَدْ جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَيُواصِلُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلاً: وَاللَّهُ أَعْلَمُ! لَمْ يَسِرِ الشَّكُّ إِلَى قَلْبِهِ الشَّرِيفِ.. وَلَمْ يَسُأَلِ النَّبِيِّنَ.

١٦- مكتوب على صخرة بيت المقدس: «وَجَدَتْ عَلَى صَخْرَتِهِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ؛ أَيَّدَتْهُ بُوزِيرَهُ وَنَصْرَتْهُ بُوزِيرَهُ. فَقَلَتْ لِجَبَرِيلَ: مَنْ وَزِيرِي؟ فَقَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ...» (المجلسي ١ / ٧٤ و ٤٦).

١٧- مكتوب على قمم الجبال (نفسه ١ / ٢٧ و ٤٦ / ٧٤).

١٨- مكتوب على طبقات الأرضين (نفسه).

١٩- مكتوب على مجاري المياه (نفسه).

٣- التجليات

لدى المعراج وبقصد مشاهدة بعض أكبر الآيات الإلهية.. (نفسه ١٨ / ٣٠٨) ويشاهد

أمير المؤمنين عليه السلام في مختلف التجليات. ومعلوم أنّ أعظم ما يمكن مشاهدته في عالم الوجود؛ هو النبي الخاتم عليه السلام حيث الملائكة متعطشة للتشرف في محضره (نفسه ١٨ / ٣٨٧) وهو الذي كان أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ الخلق طاعة له (نفسه ٣ / ٢٥) ولكن لما تقرر أن يذهب في المعراج إلى المشاهدة، فإنّ أجدر شيء بالمشاهدة لآيات الله الكبرى.. هو خليفته ووصيه، بل ونفسه الملقب بـ(آية الله الكبرى) (نفسه ٣ / ٣١٥) ومن هنا؛ كان المعراج هو المساحة العظمى والأكثر جدارة للامساسة المقامات العلوية.

١- نور علي عليه السلام: يتضح من الآية الأولى من سورة (الإسراء) والآية الثامنة عشرة من سورة (النجم) أنّ الهدف الأصل من المعراج رؤية بعض الآيات الإلهية الكبرى. فإن فهمنا كلمة «آية» بمعنى «العلامة» فمن الواضح أنّ أهم علامة في العلم والثقافة البشرية هي «النور» المؤيد بالقرآن. (النمل / ٧ - ٩، القصص / ٢٩ - ٣٠، النور / ٢٥، طه / ١٠) وأية ليس النور هو أعلم ما يشاهده فحسب، بل إنّ مشاهدة كلّ شيء منوطة به وممكنة في مساحته.

٨١

«أوحى إليّ أن التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا على و...المهدي في ضحضاح من نور يصلون» (الحر العاملي، الجوادر السننية ٢٩٤ / ٢) وفي تصريح نبوي شريف آخر: كان نور علي والأئمة من بعده في المعراج فوق رأس النبي الأعظم عليه السلام قد تجلّى (برازش ٣٠ / ٨) وبتصريح وتأييد الملائكة في المعراج: علي وشيعته نور حول عرش الله. (الحر العاملي، الجوادر السننية ٣ / ٢٠٤).

٢- نفس علي عليه السلام: وبتصريح البيان الشريف؛ كان يرى علياً في كل سماء وهو يصلّي (برازش ٣٢ / ٨) ويمكن الإشارة إلى حضور علي عليه السلام إلى جانب الرسول الأكرم عليه السلام في مقام «أوأدنى» عنه عليه السلام: لـما عرج بي إلى السماء وبلغت قاب قوسين أوأدنى؛ أوحى الله تعالى إلى: انظر! فنظرت، فرأيت علياً واقفاً معني، ولقد خرقت حجب السماوات كان علياً واقفاً قائماً يستمع إلى ما يقول الله... (المجلسى ٢٥ / ٣٨٣).

٣- صورة علي عليه السلام: واجه النبي الأعظم في السماء الخامسة صورة علي عليه السلام، وبسؤال جبريل علم مدى اشتياق الملائكة إلى زيارته وجه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو

الأمر الذي جعل الله سبحانه أن يخلق من نوره القدسي صورة لوجهه على عليه للملائكة في السماء الخامسة. فكان كأن علياً عليه بينهم ليلاً ونهاراً، فيزورونه وينظرون إلى وجهه (نفسه ٤٥ / ٢٢٨).

٤- صوت علي عليه : في الغاية القصوى للمراج، يعني مقام «القرب أو أدنى» واجه النبي صلوات الله عليه وآلـهـ إحدى أهم التجليات العلوية.. فلما سئل عن اللغة التي تكلم الله بها معه وخطبه... قال: كلامي ربي بصوت علي بن أبي طالب عليه ، ثم ألمـتـ فقلـتـ: يا ربـ! أنتـ الـذـيـ تـخـاطـبـنـيـ أـمـ عـلـيـ؟ـ!ـ فـقـالـ اللهـ:ـ أـخـاطـبـكـ بـصـوـتـ عـلـيـ لـيـطـمـئـنـ قـلـبـكـ.ـ (نفسه ١٨ / ٣٨٦).

٥- مـلـكـ بـصـوـرـةـ عـلـيـ عليه : «... فـخـلـقـ اللهـ تـعـالـىـ هـذـاـ مـلـكـ عـلـىـ صـوـرـةـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ تـحـتـ عـرـشـهـ،ـ لـيـنـظـرـ إـلـيـهـ عـرـشـ؛ـ فـيـسـكـنـ شـوـقـهـ»ـ (نفسه ٣٩ / ٩٧)؛ـ «... فـخـلـقـ اللهـ عـرـوجـلـ لـهـ مـلـكـاـ عـلـىـ صـوـرـةـ عـلـيـ...ـ»ـ (الـحـلـيـ،ـ كـشـفـ الـيـقـيـنـ ١ / ٤٥٨)؛ـ «ـ رـأـيـ تـحـتـ عـرـشـ مـلـكـاـ عـلـىـ صـوـرـةـ عـلـيـ يـسـبـحـ...ـ»ـ (الـنـبـاطـيـ الـبـيـاضـيـ ١ / ٢٤٤)ـ.

٦- مـثالـ عـلـيـ عليه : لـدـىـ بـيـانـهـ صـلـوـاتـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـقـائـعـ المـعـرـاجـ لـأـمـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـ...ـ أـشـارـ إـلـىـ وـجـودـ مـثـالـهـ فـيـ المـعـرـاجـ،ـ وـقـالـ:ـ أـحـضـرـ اللهـ تـعـالـىـ لـيـ مـثـالـكـ وـ...ـ وـقـدـ كـانـ مـثـالـكـ وـرـأـيـ (برـازـشـ ٨ / ٣٢).ـ وـوـجـودـ هـذـاـ مـثـالـ يـؤـكـدـ الـمـعـيـةـ الـعـلـوـيـةـ لـلـنـبـوـةـ الـمـصـطـفـوـيـةـ فـيـ جـمـيعـ الشـؤـونـ (إـلـاـ الـنـبـوـةـ).

٤- الفضائل العلوية من حيث طبيعة العلاقة

٤-١ العلاقة بالله تعالى

تـذـكـرـ فـيـ هـذـاـ قـسـمـ مـنـ الـفـضـائـلـ الـعـلـوـيـةـ مـاـ تـتـبـيـنـ بـهـ طـبـيـعـةـ عـلـاقـةـ الإـمـامـ عـلـيـ عليهـ بـالـلـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ:

- ١- ولـيـ اللهـ (الـنـمـازـيـ الشـاهـرـوـدـيـ ٣ / ٣٩٩)ـ ٢- حـبـيـبـ اللهـ (الـصـدـوقـ،ـ الـخـصـالـ ١ / ٣١٣)ـ ٣- منـتـخـبـ اللهـ (الـمـجـلـسـيـ ٢٦ / ٣٠٧)ـ ٤- مـخـتـارـ اللهـ (الـحـسـينـيـ الـاسـتـرـآـبـادـيـ ١ / ٤٩)ـ ٥- جـنـبـ اللهـ (ابـنـ شـاذـانـ الـقـمـيـ،ـ ٧)ـ ٦- صـوـتـ اللهـ (الـخـوارـزمـيـ،ـ ٧٨)ـ ٧- الجـدـيرـ

برضا الله (٤/٢٢٧) -٩- الجدير باسم الله (الكراجكي ٣١٤) -١٠- الجدير بعلم الله (الأربلي ٣٨) -١١- الجدير بسلام الله (النعماني المغربي، ٤١٥) -١٢- الجدير بثناء الله (المازندراني، المناقب ٢/٧٣) -١٣- مجرى رحمة الله (الحسيني البحري، ٤/٦) -١٤- وسيلة معرفة ولی الله وعدو الله (المجلسى ٣٤١/١٨) -١٥- وسيلة معرفة حزب الله من حزب الشيطان (نفسه) -١٦- وسيلة بقاء دین الله (نفسه) -١٧- وسيلة حفظ حدود الله (نفسه) -١٨- وسيلة إقامة حکم الله (نفسه). -١٩- غضبه عزّ الله (الحسکاني ١/٤٦٢) -٢٠- رضاه حکم الله (نفسه) -٢١- محبّه محبّ الله (المجلسى ٢٤/٣٦) -٢٢- عدوه عدو الله (نفسه) -٢٣- الشك به كفر بالله (الطوسي ١٤٢) -٢٤- ولایته شرط الإيمان بالله (المجلسى ٣٦/٢١٦) -٢٥- محبته وإطاعته شرط التقرب إلى الله (الحسيني الاسترابادي ٧٤٩) -٢٦- كرامته عند الله (الموحد الأبطحي ١٧٩) -٢٧- الجدير بالفضائل والكرامات المختص بها من قبل الله (المجلسى ١٨/٣٠٠) -٢٨- معيار الطاعة والمعصية لله (البحري، غایة المرام ١/١٨٢) -٢٩- معيار رفض وقبول الأعمال عند الله (الطبرى، بشارة المصطفى، ٤١) -٣٠- أسد الله الغالب (المرعشى النجفى ٤/٢٧٩).



٢- العلاقة بالنبي ﷺ

وهنا نذكر جملة من الفضائل العلوية التي تبين طبيعة العلاقة العلوية بالنبي الأكرم ﷺ، مع مراعاة النسق السالف:

- ١- حبيب حبيب الله (المجلسى ٨٩/٣٠٤) -٢- أحب الخلق للنبي (القمي، تفسير القمي ٢/٣٤٣) -٣- المعية المثالية لعلي بالنبي (الفيض الكاشانى، تفسير الصافى ٥/٩٢) -٤- إشراف علي على المعراج النبوى (الطبرسى، بشارة المصطفى ٤١) -٥- اتحاد النور العلوي بالنور المحمدى (المجلسى ٢٥/٢٣) -٦- وحدة الطينة العلوية بالطينة المحمدية (نفسه) -٧- خليفة ووصي النبي (الصادق، كمال الدين ٢٥٠) -٨- وصي النبي (القمي، تفسير القمي ١/٢١) -٩- أمين الرسول (المجلسى ٨٩/٣٠٤) -١٠- أفضل أخ للنبي (الصادق، علل الشرائع ١/١٨٣) -١١- مثل هارون للنبي (نفسه، كمال الدين ٢٥٠) -١٢- والد أبناء النبي (الموحد الأبطحي ١٧٤) -١٣- أكثر الناس طاعة للنبي (الطبرى، نوادر المعجزات،

٣-٤. العلاقة مع الناس

كل فضيلة من الفضائل المذكورة في هذا القسم هي نوع من الفضل والتفوق العلوي على سائر الخلق؛ وهو الأمر الذي تجلّى بوضوح خلال المعراج النبوى الشريف.. و سنذكرها توالياً كما هو النسق السالف:

- ١- السيد والمولى (الكوراني العاملی) (٩٢٣) - سيد جميع المؤمنين (المازندراني، المناقب ٢١/٣) - سيد جميع الأوصياء الإلهيين (المجلسى ٢٨٦/٢٦) - سيد جميع المسلمين (ابن طاووس، اليقين ٢٧٩) - حجة الله على العباد (الحر العاملی، الجواهر السنیة ٢٣٠) - رایة وعلم هدایة الامّة (نفسه) - الكلمة الثابتة والملازمة للمتقين (الجرجاني ٢٢/٥) - قائد المتقين وإمامهم (المفید ١٧٣) - إمام المُبیضة وجوههم (نفسه) - إمام أولياء الله (الطباطبائی ٢٠/١٣) - إمام أهل الطاعة (نفسه) - أمير المؤمنین (المجلسى ٣٣٩/٣٧) - نور المطیعین لله (القمی، تفسیر القمی ٢٤٣/٢) - أعدل الناس (ابن کرامۃ ١٠٧) /١٥ - أصلح وخیر الناس (نفسه) - ١٦ - أصدق الناس ٦٨ /٥١.

(نفسه) ١٧ - خير وصي (المجلسي ٣٧٠ / ١٨) ١٨ - سفينة النجاة (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ٤٧١ / ٨٥) ١٩ - قول: يا علي؛ طريق في الجنة (الصدق، الأمالي).

مع أن الفضائل العلوية المشار إليها؛ من حيث الميزان والمعايير ذات أهمية ومراتب متفاوتة، وهذه حقيقة غير قابلة للإنكار، إلا أن هذه الدراسة لم تعمد إلى حذف أيٍ منها بلحاظ قصد جامعيتها.. ومن جهة أخرى؛ يحدث تارة أن تطرح فضيلة من الفضائل بأسلوب يقلل من أهميتها، وذلك بداعي الضعف في فقه الحديث ولحن القول. وكمثال على ذلك ؛ نجد أن الفضالية الخامسة عشرة «وراث رداء النبي الخاص بليلة المعراج» غير قابلة للقياس مع الفضائل العلوية الأخرى.. ولكننا إذا أمعنا النظر في رمزية هذا الرداء المحمدي العظيم.. نجد أنه رمزاً للجدارة والعزة وقابلية (المعية) العلوية من رسول الله ﷺ.



٥- أمير المؤمنين ع

إحدى الفضائل العلوية، وهي من ألقابه ع الخاصة، لقب «أمير المؤمنين» وقد كشف النقاب عن هذا اللقب العظيم، والمنزلة الجليلة لعلي ع في المعراج النبوي، وقد جرى بيانه بعد المعراج...

١-٥. معرفة المصطلحات

الأمر في اللغة بمعنى القانون والفرمان، أو بمعنى القدرة والسلطة.. ومن هنا؛ يطلق عنوان «أولو الأمر» على الأعيان وكبار القوم ومتولّي الأمور.. و«صاحب الأمر والنهي» يعني صاحب القدرة والقدرة المطلقة.. والأمير بمعنى القائد العسكري ومتولّي الأمور.. وأمير المؤمنين بمعنى إمام وقائد المؤمنين (قيس ٢٧٠ / ١). والأمير على وزن: فعيل، وهي صفة مشبهة، وتطلق على الشخص ذي الصفة الثابتة والمترکّسة فيه.. إذن: فأمير المؤمنين، يعني: الشخص الرئيس والقائد من حيث الإيمان (الحسيني الطهراني ٣٥ / ٢).

وفي الرواية أدناه نلاحظ عبارة أخرى في وجه تسمية الإمام علي ع بأمير المؤمنين، قال أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍ: سَأَلْتُ إِلَيْهِ الْكَاظِمَ عَوْنَاقَهُ وَقَلَّتْ: لَمْ سُمِّيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «لَأَنَّهُ يَمِّرُهُمُ الْعِلْمَ، أَمَا سَمِعْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: (وَنَمِّيْرُ أَهْلَنَا)» (المجلسي ٣٧ / ٢٩٣).

إن مصطلح (الأمير) وبالنظر إلى المعنيين يمكن أن يدل على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ليس مجرد متکفل الرزق المادي والأمر للمؤمنين، وإنما هو المقسم للرزق المعنوي.

٥-٢. أهمية هذا اللقب

(أمير المؤمنين) أحد أهم وأجلِّ ألقاب الإمام علي عليه السلام، وله ميزته الخاصة من بين سائر الألقاب، من قبيل «سيد المسلمين» و«يعسوب الدين» و«قائد الغرِّ المحجَّلين» و«قاتل الفجرة» و«خليفة رسول الله» و«وصيَّه» و«وزيره» ويحظى بالدرجة الأولى، ولهذا؛ وجدنا رسول الله عليه السلام قد أمر المسلمين بالسلام على الإمام علي عليه السلام بهذا اللقب الشريف والتحية له (الحسيني الطهراني ٣٥ / ٢).

وتصريح النبي الرايم صلوات الله عليه وآله في خطبة الغدير يبيّن أنَّ أحد شروط الفلاح بعد مبايعة الإمام وقبول ولايته هو السلام عليه بهذا اللقب. وفي رواية عنه عليه السلام: «عاشر الناس؛ السابرون إلى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين، أولئك هم الفائزون في جنات النعيم» (الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ٥٣ / ٢).

والمسألة ذات الأهمية القصوى لهذا اللقب أنَّ النبي الرايم عليه السلام لما بلغ أعلى وأسمى مرحلة من المعراج، مقام قرب (أو أدنى) وفي تلك الخلوة، حيث لم يؤذن لجبرئيل الأمين بدخولها، وبعد نزول قوله تعالى: (فأوحى إلى عبده ما أوحى) سمع الله عزوجل يقول: «يا محمد! اقرأ على بن أبي طالب أمير المؤمنين» (المجلسى ٢٩٠ / ٣٧).

وقد ورد في الزيارة السابعة للإمام علي عليه السلام في (مفاتيح الجنان): «السلام على من خاطبه جبرئيل بإمرة المؤمنين بغير ارتياط» (القمي، مفاتيح الجنان، ٥٩٨).

٥-٣. أمير المؤمنين؛ المخاطب الأفضل

إن هذا اللقب ليس عنواناً اعتبارياً، وإنما هو بيان حقيقة وكشفُ عن سرِّ موجود في شخص الإمام علي عليه السلام، إذ مهما يضاف للأمير والرئيس إلى شيء، فإنه راجع إلى معنى وحقيقة ذلك الشيء. فأمير الجيش، يعني ذلك الشخص المقدم - من حيث العلم والفن العسكري - على جميع أفراد الجيش. وأمير الأمراء، يعني ذلك الشخص

المقدم على سائر الأُمراء.. قال ابن عباس: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله: «ما أنزل الله آيةً فيها (يا أيها الذين آمنوا [في معرض المدح والثناء] إِلَّا وعلَيْهِ عَلَيْهِ رَأْسُهَا وَأَمْرُهَا» (المجلسي /٣٥ /٣٥٢).

٤-٥. أمير المؤمنين بعد الشهادتين

وجود أمير المؤمنين عليه السلام في جميع الشؤون باستثناء النبوة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجود فعلى وتفصيلي عام. (المجلسي /٢٥ /٣)، بالطينة (نفسه) والجذر والأصل (القمي، مفاتيح الجنان /٨٢)؛ فالاثنان واحد، بل إنّ وحدتهما قد عبر منها القرآن الكريم بـ(النفس الواحدة) (آل عمران /٦١) في الاجتماع العظيم للأنبياء والمرسلين والصلة الجليلة في المعراج خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. كان الإصرار على الشهادة بالولاية العلوية بعد الشهادتين. آية: «... أكملت...» (المائدة /٣) بل إن إكمال الدين وإتمام النعمة منوطان بالإيمان والشهادة بالولاية العلوية.. وإن مجموع هذه البحوث ومحتوى الحديث أدناه (وفضلاً عن بيان فضيلة من الفضائل العلوية) فيه الدلائل الواضحة على لزوم الشهادة الثالثة في الأذان

٨٧

وقد روی عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إِنَّمَا قَالَ أَحَدُكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَيُقَالُ: عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُّ اللَّهِ» (الطبرسي، الاحتجاج /٨٣)

٥-٥. المعراج وأمير المؤمنين

هذا اللقب الأجل قد جرى على لسان الله تبارك وتعالى وجبرئيل والملائكة والأنبياء وحورية علي عليه السلام وهو - لقب أمير المؤمنين عليه السلام - مكتوب على أبواب الجنان الثمان (المجلسي /٣٧ /٣٣٩) وقد ورد في رواية ابن عباس: والله! لم نقل لعليّ أمير المؤمنين حتى سماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمير المؤمنين (نفسه).

٥-٥-١. انحصر لقب أمير المؤمنين:

في أقصى نهايات مقصد المعراج، يعني: مقام القرب أو أدنى، وبعد صدور الأمر بلقب أمير المؤمنين عليه السلام، وجدنا الله عزوجل يحصر هذا اللقب بعلي عليه السلام فقط، فقال سبحانه: «فَمَا سَمِّيَتْ بِهِ أَحَدًا قَبْلَهُ وَلَا أَسْمَى بِهِذَا أَحَدًا بَعْدَهُ» (نفسه، /٣٧ /٣٩٠)



وقد أشار النبي الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبة الغدير لدى بيانه حصر هذا اللقب الشريف على عَلَيْهِ الْكَفَافُ فقال: «ألا! إنه لا «أمير المؤمنين» غير أخي هذا» (الحلبي، العدد القوية ١/١٧٤). وبهذا الصدد، لـما سئل الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَفَافُ عمما إذا كان الإمام القائم عَلَيْهِ الْكَفَافُ سيسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: لا، فإن هذا الاسم خاص لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَفَافُ، ولم يجعله لأحد سبقه، ولن يسمى أحداً بعده نفسه إلا كافر (المازندراني، شرح أصول الكافي ١/٤١).

وعليه؛ فهو لقب منحصر بفرد واحد، وهو الإمام علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ، بل إنه لم يستعمل في وصف النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله.. وكذا الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم من نسل الإمام علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ، حيث لم يتعلّق بوحدة منهم (المجلسي ٣٧/٢٩٠).

إن حصر لقب «أمير المؤمنين» على عَلَيْهِ الْكَفَافُ لا يتعارض المقامات النبوية المحمدية، وذلك أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد شهد بما كان في مقام القرب (أو أدنى) وفي تلك الخلوة الإلهية الخاصة كان علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ يحمل عنوان المطیع الأكبر والأحرص لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (نفسه ٢٥/٣) وكذا بخصوص سائر الأئمة عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ، وذلك أنّ أمير المؤمنين - في بعض الروايات - هو الخليفة بلا فصل.. وهذا من خصوصيات الإمام علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ.

إن مساحة إمارة أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ الْكَفَافُ قد شملت ووسعـت جميع السماوات والأرضـين، أي أنه فضلاً عن مؤمني الأرض، فإنـ جميع سكان السماوات هـم من زمرة المؤمنـين وتحـت إمرـته عَلَيْهِ الْكَفَافُ، كما أنـ مدة هذه الإمارـة تـشمل ما كان وجـمـيع ما يكونـ من المؤمنـين، كما وردـ في الحديث النبـوي الشـريف القـائل: «فـأـنـتـ يا عـلـيـ أمـيرـ منـ فـيـ السـماءـ وأـمـيرـ منـ فـيـ الـأـرـضـ، وأـمـيرـ مـنـ مـضـىـ وـأـمـيرـ مـنـ بـقـىـ، فـلـأـمـيرـ قـبـلـكـ وـلـأـمـيرـ بـعـدـكـ» (الحرـ العامـليـ، إثـباتـ الـهـدـاةـ ٢/١٦٠)

٢-٥-٥. أمير المؤمنين وابنية نظام الوجود

تناولـ الرواياتـ الشـارحةـ للمـعـراجـ شـرحـ أـبـنيـةـ خـلـقـةـ الـوـجـودـ وـالـمـلـكـوتـ أـيـضاـ، كـماـ يـفـهمـ منـ الروـاـيـةـ الـكـرـيمـةـ الـوارـدـةـ عنـ إـلـاـمـ الصـادـقـ عَلَيْهِ الْكَفَافُـ، حيثـ أـشـارتـ إـلـىـ أـنـ عـبـارـةـ «عـلـيـ أـمـيرـ المؤـمنـينـ»ـ قدـ اـقـتـرـنـتـ بـعـبارـتـيـ «لـأـلـهـ إـلـاـ اللـهـ»ـ وـ«مـحـمـدـ رـسـوـلـ اللـهـ»ـ حيثـ كـتبـهاـ اللـهـ عـزـوجـلـ

على أركان العرش ومجرى الماء وقواعد الكرسي واللوح وجبهة إسرافيل وأجنحة جبرئيل وأكناف السماوات وطبقات الأرض وقمم الجبال وعلى الشمس والقمر..

وإنّه لواضحٌ جدّاً أنَّ جملة «كَتَبَ عَلَى» لا توحّي بمجرد الكتابة والتدوين بالقلم - مثلاً - وإنما هي دالة على أن أساس بنيان الوجود وأصل الخلقة قد جعله الله تعالى قائماً على هذه الحقيقة (الطبرسي، الاحتجاج ٨٣)

٣-٥-٥. السلام على أمير المؤمنين

لما وصل النبي الأكرم ﷺ مقام القرب أو أدنى، أمره الله تعالى أن يسمّي علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين (المجلسي ٢٩٠ / ٣٧) وإن هكذا أمر وفي تلك المرحلة من المعراج حيث لا مرحلة أسمى منها .. يستلزم أهمية لا توصف ..

وأدنى تتناول روایة كريمة خاصة بالأمر بالسلام على عليٍّ بن أبي طالب عليهما السلام بلقب أمير المؤمنين ..

روى ابن عباس عن النبي الأعظم ﷺ قال: كنّا نحن مارّين في أزقة المدينة يوماً إذ أقبل علي بن أبي طالب عليهما السلام فقال: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته» فقال: «وعليك السلام يا أمير المؤمنين، كيف أصبحت؟» فقال: «أصبحت ونومي خطرات ويقطّي فراغات وفكري في يوم الممات»

قال ابن عباس: فعجبت من قول رسول الله ﷺ في علي عليهما السلام، فقلت: يا رسول الله! ما الذي قلت في ابن عمّي.. أحبّاً له أم شيئاً من عند الله؟ قال: «لا والله ما قلت فيه شيئاً إلا رأيت بعيني». قلت: وما الذي رأيت يا رسول الله؟ قال: «ليلة أُسْرِيَ بي في السماء؛ ما مررت بباب من أبواب الجنة إلا ورأيت مكتوباً عليه: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين من قبل أن يخلق آدم بسبعين ألف عام» (نفسه ٣٣٩ / ٣٧).

وبالنظر إلى هذا الحديث، وهو من غير أحاديث روایات شيعة أهل البيت ع، تتناول جملة أسئلة لإيضاح مفاده، ولدى الإجابة عليها نتجه إلى تحليل هذا الحديث الشريف.

- ١- لماذا يكشف عن هذا اللقب العظيم في المعراج خاصة؟
- ٢- لماذا كتبت على جميع أبواب الجنان هذه العبارة؟
- ٣- لماذا كان علي عليهما السلام أميراً للمؤمنين قبل خلقة آدم بسبعين ألف عام؟
- ٤- لماذا جرى التأكيد والإشارة إلى هذه السبعين ألف عام؟

جواب السؤال الأول: أن أولوية وعظمة لقب (أمير المؤمنين) ما يلزم أن يبيّن ويؤكّد عليه في مرتبة عظيمة من عالم الملك، أي: مساحة عالم الملكوت الواسعة. بل إن جميع المسائل والفضائل التي شهدتها المعراج إنما كانت للارتفاع والارتفاع بمقدمة المعراج باعتبارها ذات منزلة أسمى وأرقى.

جواب السؤال الثاني: الكتابة على باب كل ملِك، أو ما يعرّفه المالكون، أو في هوية محبوبي الساكنين، وبالنظر إلى التدقيق في معنى (أمير المؤمنين) وكتابة هذه العبارة على أبواب الجنان الثمان إشارة إلى إمامية الإمام علي عليهما السلام للجنة وأهلها، ولا ينبغي المرور من هذا المطلب اللطيف والظريف، حيث يكتب على باب الملك على سبيل الحرز والحراسة والحفظ.. ومن هنا؛ يمكن أن يقال إنه بعد الإيمان بالتوحيد والرسالة؛ فإن كمال الحفظ والحراسة وأمان الجنة وأهلها منوط بالإيمان بإمامرة مولانا الإمام علي عليهما السلام.

وبهذا الصدد؛ ورد في الحديث النبوي الشريف: «إن حلقة باب الجنة من ياقوته حمراء على صفائح من الذهب، فإذا دُقَت الحلقة على الصفيحة؛ ظننت وقالت: يا على!» (الصدوق، الأعمالي ٤٧١)

وقال الجوادى الأملى عن الطباطبائى: قال الطباطبائى فى شرح هذا الحديث وإنه لماذا أصبح صوت حلقة باب الجنة: «يا على»: حينما يدخل الضيف بيتأتى ينادى صاحب البيت، فإن كان لهذا الأخير اسم معين، فإن الضيف يناديه باسمه.. وإن صاحب الجنة ومضيافها على بن أبي طالب عليهما السلام.. ومن هنا؛ كان صوت حلقة باب الجنة أيضاً: «يا على»؛ إذ كل من يذهب إلى الجنة إنما هو تحت مظلة إمام أهل البيت.. ولو لا الأنوار العلوية الطيبة، فإنه لا أحد قادر على طي طريق الجنة.. وإننا لنشعر شعوراً كاملاً بما إذا كنا في الطريق إلى الجنة أم لا، وما إذا كانت أبوابها ستفتح لنا أم لا! (جوادى أملى ٢٥٤).

جواب السؤال الثالث: إن المساحة الزمنية لإمارة الإمام علي عليه السلام على المؤمنين أوسع وأشمل تاريخ الحياة البشرية، ولها جذورها الضاربة في مطلع الخلقة والخليقة، وفي أنّ علياً كان أمير المؤمنين قبل خلقة آدم عليهما السلام بسبعين ألف سنة إشارة إلى النسبة الإلهية، وإن اصطفاء علي عليه السلام قبل بدء الخلقة والخليقة تؤيده روايات جمة تحدثت عن خلق نور علي عليه السلام ووجوده قبل الخلقة.. وفي ذلك الإشارة والدلالة على أن علياً عليهما السلام يكونه أميراً للمؤمنين لم يكن لمجرد منصب سياسي، وإنما هو لمنصب تكويني وملكتي؛ يرجع تاريخه إلى مطلع الخلقة واللحظة التي أراد الله عزوجل أن يعرف، وذلك ما استغرقته السنون القديمة لتكون إمامته وإمارته على جميع أهالي الجنان الشمان..

جواب السؤال الرابع: من الواضح والمعلوم أن عدد (٧٠) يراد به الكثرة والكمال في الاستعمال اللغوي والبلاغي.. فكان هذا العدد من مظاهر الكثرة والكمال والمكمل لهذه الحقيقة التي تحت الإشارة إليها، فالعدد هذا مستغرق لمساحة زمنية أوسع وأشمل من الحد والحساب المتعارف عليها بشرياً. مضافاً إلى أن كلمة (سنة) الواردہ في الأحاديث والروايات أكبر من كلمة (يوم أو شهر) لتکتمل بذلك صيغة المبالغة.. وبهذا الدليل إشارة وتأكيد على هذا العدد السابق لخلق آدم عليهما السلام، وفيه آية التقديم والتقدم والتثبيت والإثبات والتحكيم والاستحکام لهذا الحكم الإلهي العتيد، مضافاً إلى الجامعية والممانعية الكافية والواافية والأجمل والأحسن القابل للاستبدال والاستعاضة بشخص آخر..

وابن عباس الذي هو ابن عم النبي والأمير صلوات الله عليهما وآلهما، وهو الذي لدى المقايسة بكثير من الصحابة يفوقهم في معرفة النبي والأمير عليهمما وآلهما السلام.. قد اعتراف الريب في قضية الانطباق والاتحاد فيما يرتبط بالمحبة النبوية مع المحبة الإلهية، كما اعتراف العجب في منزلة الإمام علي عليه السلام.. وكأنه اتهم النبي عليهما السلام بالعمل والقول حسب ميله الشخصية وبكونه عليهما السلام غير معصوم وأنه ينطق عن الهوى! وتعجبه إزاء هذا اللقب العلوي الشريف - أمير المؤمنين - آية ضعفه النفسي إزاء قبول هذه الإمارة.. فإذا كان ابن عباس بهذه الصفة وال موقف، فكيف سيكون موقف وصفة غيره من هم أكثرية صحابة النبي عليهما السلام؟!



٦- مُحَصّلة المقال

٦-١: إن جميع المسائل والفضائل المشار إليها في المعراج لها المدخلية في الارتفاع بمقولة المعراج بحد ذاته.. فالمعراج كان متضمناً لآيات التعالي والتشرع وسعة الإمكانيات والقابليات الوفيرة، كما كان مفعماً بأسباب العجب والتعجب.. ولذا؛ فإن تعظيم وتكرير المقامات والفضائل العلوية في آفاق المعراج كان له الدور المباشر في إظهارها بما لا يسمح به عالم الأرض في تبيين هذه الفضائل العلوية الفذّة.

٦-٢: أنّ المعراج انعكاس لفرائض العبادة (أسرى بعده) (الإسراء/١) وكذا: أرقى مراتب العبادة (فكان قاب قوسين أو أدنى) (النجم/٩) فالأمر هذا سبب للتقرب، مضافةً إلى كونه رمزاً، وعلى هذا؛ فإن استعراض مقامات وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام من بدء المعراج إلى منتهاه - الذي لا يمكن للعقل البشري تصوّره كما هو - يشير إلى أنّ ذكر وسماع ورواية الفضائل والمدائح العلوية من أهمّ أشكال العبادة وأرقاها...

مثال ذلك؛ ما ورد في تفسير الآية الأولى من سورة (المعراج) في التفاسير الروائية (برازش ١٦/١٧) حيث نواجهه من كان على استعداد لتقبيل العذاب الإلهي دون تقبل الولاية والإمارة العلوية، لسبب إلابغض لعلي عليه السلام.. كما أنّ ممن عبائر دعاء الندبة الشريف ما تفصح عن هذه الحقيقة المريبة في ميل قلوب الغالبية الغالبة من رجالات العرب إلى الأخذ بثارات بدر وخيبر وحنين وغيرها من شخص على عليه السلام وعدم قبولهم فضائله وحقوقه.. (القمي، مفاتيح الجنان ٨٨٤). وبهذه الاستنتاجات يبدو أنّ المعراج كان - وما يزال - يمثل فرصة للتعاطف مع النبي الراكم عليه السلام إزاء كل ذلك العداء وتعتمد تجاهل الناس على عليه السلام وفضائله وضرورة محبته والولاء له في الملوك الأعلى؛ من الأشياء إلى الأنبياء والملائكة وأخيراً إلى الله عزوجل.. لأجل تثبيت وطمأنة الرسول ونشر البهجة في قلبه الشريف (المجلسي ٣٨٦/١٨) وإن هذا المنحى الإلهي قد شهدت به وعليه سور (الضحى) و(الانشراح) و(الكواثر)؛ هذا بالإضافة إلى مسألة إلقاء الحجج المتتالية على الخلائق، لئلا يقول قائل في يوم القيمة: قد كنا عن هذا غافلين...

٦-٣: أن أهمية وأولوية بعض الفضائل العلوية، مثل لقب (أمير المؤمنين) ينبغي أن تُبيّن وتطرح ضمن مراتب تفوق عالم الملك، وبما يلائم سعة عالم الملوك.

٦-٤: أن المراجـاج برمته متـكـىء على الناحـيـة الـملـكـوـيـة والتـكـوـيـنـيـة وقدـمـ الفـضـائـلـ العـلـوـيـةـ.

٦-٥: خلال طي مراحل المراجـاج النـبـويـ المتـعـدـدـةـ كانتـ كـثـرـةـ المـصـرـحـينـ بالـفـضـائـلـ العـلـوـيـةـ وـعـلـوـشـانـهـاـ (ـمـنـ اللـهـ وـالـرـسـوـلـ وـجـبـرـئـيلـ وـالـأـنـبـيـاءـ وـالـمـلـائـكـةـ وـحـورـيـةـ عـلـيـ عـلـيـلـاـ)ـ وكـذـاـ وـفـرـةـ النـصـوصـ المـقـدـسـةـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ،ـ وـكـثـرـةـ التـجـلـيـاتـ العـلـوـيـةـ،ـ لـاـ تـدـلـلـ عـلـىـ أـوـلـوـيـةـ وـعـظـمـةـ وـأـهـمـيـةـ هـذـهـ الفـضـائـلـ وـالـمـقـامـاتـ فـحـسـبـ،ـ وـإـنـمـاـ تـشـيرـ إـلـىـ أـنـ أـحـدـ أـهـمـ أـهـدـافـ مـعـرـاجـ النـبـيـ الـأـكـرـمـ عـلـيـلـاـ هوـ بـيـانـ وـإـبـلـاغـ هـذـهـ الفـضـائـلـ..ـ فـكـانـ ذـلـكـ مـنـ الـأـرـكـانـ الـأـصـلـيـةـ لـمـعـرـاجـ الـمـقـدـسـ.

٦-٦: حيث كان المراجـاج الذي هو تجلي لاشتياق عالم الملكـوتـ للـإـمـامـ عـلـيـ عـلـيـلـاـ،ـ وـبـمـثـابـةـ أـعـظـمـ اـجـتـمـاعـ لـلـرـسـوـلـ الـأـكـرـمـ صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـأـلـهـ مـعـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـمـلـائـكـةـ لـلـشـهـادـةـ بـالـوـلـاـيـةـ الـعـلـوـيـةـ،ـ وـأـخـيـرـاـ كـوـنـهــ الـمـعـرـاجــ مـوـضـعـ تـجـلـيـ الحـبـ إـلـهـيـ وـالـمـحـمـدـيـ الـلامـتـنـاهـيـ لـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـلـاـ..ـ يـمـكـنـ أـنـ يـمـثـلـ فـرـصـةـ مـنـاسـبـةـ لـطـمـانـةـ النـبـيـ الـأـكـرـمـ عـلـيـلـاـ وـالـتـعـاطـفـ مـعـهـ فيـ مـقـابـلـ كـلـ ذـلـكـ العـدـاءـ وـكـلـ ذـلـكـ التـجـاهـلـ الشـيـطـانـيـ منـ جـهـةـ النـاسـ إـزـاءـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـلـاـ وـفـضـائـلـهـ..ـ

٦-٧: إن لقب (أمير المؤمنين) قد صدر للإمام عـلـيـ عـلـيـلـاـ فيـ المـعـرـاجـ..ـ هـذـاـ اللـقـبـ الـذـيـ يـعـدـ أـكـثـرـ جـامـعـيـةـ مـنـ بـيـنـ سـائـرـ أـلـقـابـهـ الـجـلـيلـةـ،ـ وـهـوـ الدـالـلـ عـلـىـ الـوـلـاـيـةـ الـعـلـوـيـةـ وـالـخـلـافـةـ الـمـبـاـشـرـةـ لـلـنـبـيـ الـأـكـرـمـ صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ..ـ فـأـنـ يـؤـمـرـ الـمـسـلـمـونــ بـكـافـةـ أـجـيـالـهـمـ وـإـلـىـ يـوـمـ الـقيـامـةــ بـالـسـلـامـ عـلـىـ عـلـيـ بـلـقـبـ (ـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ)ـ وـفـيـهـ المـزـيدـ الدـالـلـ عـلـىـ ذـلـكـ..ـ

مـصـادـرـ الـبـحـثـ:

الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ

ابـنـ شـاذـانـ الـقـميـ،ـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ (ـمـئـةـ مـنـقـبةـ فـيـ فـضـائـلـ وـمـنـاقـبـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ وـالـأـئـمـةـ مـنـ وـلـدـهـ عـلـيـلـاـ)ـ قـمـ،ـ مـدـرـسـةـ الـإـمـامـ الـمـهـدـيـ عـلـيـلـاـ ١٤٥٧ـ قـ.



- ابن طاووس، علي بن طاووس (التحصين) قم، مؤسسة دار الكتاب ١٤١٣ ق.
نفسه (اليقين) قم، مؤسسة دار الكتاب ١٤١٣ ق.
- ابن كرامة، شرف الاسلام بن سعيد المحسن (تنبيه الغائلين عن فضائل الطالبيين) تحقيق السيد تحسين آل شبيب. قم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ١٤٢٥ ق.
- الأربلي، علي بن عيسى (كشف الغمة) تبريز، مطبعة مكتبةبني هاشمي ١٣٨١ ش.
- البحرياني، هاشم بن سليمان (مدينة معاجز الأنمة الأخرى عشر) قم، مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١٣ ق.
- نفسه (غاية المرام وحجة الخصم) بيروت، مؤسسة التاريخ العربي ١٤٢٢ ق.
- برازش، علي رضا (تفسير أهل البيت عليهما السلام) طهران، أمير كبير ١٣٩٤ ش.
- الجرجاني، ابو المحاسن (تفسير گازر) طهران، مطبعة دانشگاه طهران ١٣٣٧ ش.
- جوادی آملی، عبد الله (حكمت عبادات) قم، الإسراء، ١٣٧٨ ش.
- الحر العاملي، محمد بن الحسن (الجواهر السنوية في الأحاديث القدسية) بيروت، مؤسسه الاعلمي ١٤٥٢ ق.
- نفسه (اثبات الهدأة بالنصوص والمعجزات) بيروت، مؤسسة الأعلمی ١٤٢٥ ق.
- الحسکانی، الحاکم (شواهد التنزيل) طهران، مؤسسة چاپ و نشر ١٤١١ ق.
- حسینی استرآبادی، شرف الدین (تأویل الآیات الظاهرة) قم، جامعه المدرسین ١٤٠٩ ق.
- حسینی البحراني، سید هاشم (تفسير البرهان) طهران، بنیاد بعثت ١٤١٥ ق.
- حسینی الطهراني، محمد حسین (إمام شناسی) مشهد، مؤسسه علوم و معارف اسلام ١٤٢٢ ق.
- الحدی، حسن بن سليمان (المختصر) قم، منشورات المطبعة الحيدرية ١٣٧٥ ش.
- الحدی، حسن بن یوسف (كشف الیقین فی فضائل امیر المؤمنین علیہ السلام) طهران، ١٤١١ ق.
- الحدی، علی بن یوسف (العدد القوية لدفع المخاوف اليومية) قم، مکتبة المرعشی ١٤٠٨ ق.
- الخوارزمی، موقن بن احمد بن محمد (المناقب) قم، مؤسسه النشر الإسلامي ١٤١١ ق.
- الراғب الإصفهانی، حسین بن محمد (مفردات ألفاظ القرآن) بيروت، دارالشامیة ١٤١٢ ق.
- الصدق، ابن بابویه القمی (الخصال) قم، جامعه المدرسین ١٤٥٣ ق.
- نفسه (الإمامی) طهران، انتشارات إسلامیة ١٤٥٠ ق.
- نفسه (كمال الدين) قم، دارالكتب الإسلامية ١٣٩٥ ق.
- نفسه (علل الشرایع) قم، مکتبة الداوري ١٣٨٥ ق.
- الصفار، محمد بن الحسن (بصائر الدرجات) قم، مکتبة المرعشی ١٤٥٤ ق.
- الطباطبائی، محمد حسین (تفسير المیزان) قم، انتشارات طباطبائی ١٣٧٦ ش.
- الطبرسی، ابو منصور احمد بن علی (الاحتجاج) مشهد، نشر مرتضی ١٤٥٣ ق.
- الطبرسی، رضی الدین حسن بن فضل (مکارم الأخلاق) قم، انتشارات شریف رضی ١٤١٢ ق.



- الطبرى، عماد الدين (بشرة المصطفى) النجف، المكتبة الحيدرية ١٣٨٣ ق.
- الطبرى، محمد بن جرير (نواذر المعجزات) قم، مؤسسة الإمام المهدي علیه السلام ١٤١٥ ق.
- الطوسي، ابن حمزة (الثاقب في المناقب) قم، مؤسسة أنصاريان ١٤١٢ ق.
- عروسي الحويزى، عبد علي بن جمعة (تفسير نور الثقلين) قم، اسماعيليان ١٤١٢ ق.
- الفيض الكاشانى، ملام محسن (تفسير الأصفى) قم، دفتر تبلیغات إسلامي ١٤١٨ ق.
- نفسه (تفسير الصافى) مشهد، دار المرتضى ١٤١١ ق.
- القمى، عباس (مفآتيخ الجنان) طهران، نشر الهادى ١٣٧٩ ش.
- القمى، علي بن إبراهيم بن هاشم (تفسير القمى) قم، دار الكتاب ١٤٠٤ ق.
- قىيم، عبد النبي (فرهنگ معاصر عربى به فارسى) طهران، نشر فرهنگ معاصر، ١٤٠٠ ش.
- الکرجاکى، ابو الفتح محمد بن علي (كنز الفوائد) قم، مكتبة المصطفى ١٤١٥ ق.
- الکورانى العاملى، علي (العقائد الإسلامية) أربع مجلدات، قم، مركز المصطفى ١٤٢٢ ق.
- المازندرانى، ابن شهر آشوب (مناقب آل أبي طالب علیهم السلام) قم، مؤسسة انتشارات علامة ١٣٧٩ ق.
- المازندرانى، محمد صالح بن احمد (شرح أصول الكافي) طهران، المكتبة الإسلامية ١٣٨٢ ق.
- المجلسى، محمد باقر (بحار الأنوار) بيروت، مؤسسة الوفاء ١٤٠٤ ق.
- المرعushi النجفي (تعليقات إحقاق الحق وإزهاق الباطل) قم، مكتبة المرعushi ١٤٥٤ ق.
- المفید، محمد بن محمد بن نعمان (الأمالى) قم، انتشارات كنگره شیخ مفید ١٤١٣ ق.
- موحد أبطحى، مرتضى (الشيعة في أحاديث الفريقين) ناشر: مؤلف ١٤١٦ ق.
- النباطي البياضى، علي بن يونس (الصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم) طهران، المكتبة المرتضوية ١٣٨٤ ق.
- النعمان المغربي، قاضي (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٩ ق.
- النوري، ميرزا حسين (مستدرك الوسائل) قم، مؤسسة آل البيت علیهم السلام ١٤١٨ ق.
- النمازي الشاهروdi، علي (مستدرك سفينة البحار) قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٥ ق.